اليها في عيدها...

« يا اقدس الناس ،

اكتب اليك حيث انت ، ومن حيث انا . ولست اعرف ايا من العنوانين ، فقد التهم الاحتلال الاماكن الاليفة ، وطمس ليل القهر والتهجير العناوين جميعا ، والغت عصابات الحقد المسلح الاسماء محولة ايانا الى ارقام حتى نتساوى معها في انعدام الانسانية ، ونتماثل في الطبيعة وان اختلفت مواقعنا خلف او امام اسوار الصمت والضياع والرعب الاخرس .

اكتب اليك ولا عنوان لك اعرفه ولا عنوان لي يوصلك الي ،

ولكنني واثق انك ستتلقين رسالتي وستنفجر فرحتك زغرودة مدوية ، تزيد من يقين الناس ان الربيع قدانبجس خصبا ورواء يجلل الارض بالوعد الاخضر .

واثق لانني اعرفك :

فانت اقوى من الحرب ، هي العارضة وانت البقاء ، اقوى من القصف ، النسف ، الخطف ، العسف والليالي الثلجية في المعتقلات ، اسرائيلية كانت ام محلية ورسمية كانت ام « أهلية » بمعنى الانتماء للحرب الاهلية وليس للاهالي الذين اراهم يسكنون قلبك ويطلون علي من عينيك الراعشتين بالدمع ،

اقوى من عتم الظلم والالم وهم الولد المفقود في غمرة افتقاد الوطن ومقومات دولته ،

ولانك الاقوى فانا قوي ، وها انا اكتب تاركا للريح والشمس وعصافير الربيع المرقشة ان تحمل اليك هذه القبلة في عيدك : عيد الارض والقمح والخصب والعطاء ، وفجر الغد الآتي .

* * *

اكتب اليك حيث انت ، يا امي ،

وهل تحتاج رسالة الى ام ، الى عنوان وموزع بريد ؟!

اما الجواب فعندي : بقلبي ارتله كل لحظة ، وهو الذي يعصمني ويحميني من الانحدار او الانهيار ،

ولا اكتمك انني مررت بلحظات ضعف كثيرة ، وانني كفرت فتشهيت الموت غير مرة ، ودهمني اليأس والقنوط حتى كدت اسقط ،

لكن صورتك ، صوتك ، طيفك ، شيئا منك احسه ولا استطيع وصفه او تحديده ، كان يمتد تحتي - فجاة - شبكة تمنع سقوطي ، وترفعني من جديد الى حيث اكون جديرا بك ،

وكنت استفيق من خدر العذاب على لمسة منك تعيدني الى الوعي بحقيقة ما يجري لي وحولي ، فاحس ان محنتي هي بعض وجوه محنة الوطن ، وان صمودي بعض شروط خلاصه ، فاتماسك لكي اكون جديرا به .

اعرف ، يا امي ، ان قوى اخرى غير الاحتلال عاثت في الارض فسادا واكملت ما قصّر فيه وعنه ، ولكنني احسبها عليه ومن ضمنه لكي لا يهتز ايماني بوطني وبأخوتي من ابنائه ، حتى لو اعماهم الحقد لفترة ، او سيرتهم الاهواء والمصالح واوهام « الطوائف - الاوطان » في طريق الخطا والخطيئة ، فابعدوني - بالقهر - عنك ، وابتعدوا - بالامر - عنا جميعا .

واعرف ان سجاني او مختطفي او المتسبب في اعتباري « مفقودا » قد لا يكون اسرائيليا بالهوية ، ولكنني اجزم انه اسرائيلي بالهوى والغرض . فهو لم يتقصدنا وحدنا بالاذى حين فرق بيننا ، وانما اذى الوطن نفسه وعرقل المسيرة المباركة التي نتوقعها لاستعادة وحدتنا الوطنية التي هي شرط التحرر والسيادة والاستقلال واقامة وطن حقيقي فوق الـ ١٠٤٥٢ كلم مربع ،

وما لم تكن هذه الكيلو مترات المحدودة ارضا لوطن للانسان فما قيمتها ؟ وما اضيقها واتعسها ان لم تبرر ذاتها بمناخ الحرية والعدل والمساواة بين مستحقي نعمة الانتماء اليها بما هي - هم وليس الغاصب او الدخيل او السمسار الذي يتخذها وسيلة للاتجار وكنز المال الحرام .

* * *

امي ،

لقد قرب زمن « العودة » ... اليس بك يبدا الربيع ويكون ؟!

واي ربيع للوطن يكون في غياب شبابه ؟ !

ليس ضروريا ان اذكرك باحواض الورد والبيلسانة والياسمينة التي تمنح الوافدين الينا بعض عطرك ،

ولكنني ارى ضرورة تذكيرك بان تهتمي بتناول دوائك ، قبل النوم ، فمؤكد انك نسيته واهملت استكمال علاجك ،

وانتظريني مع اول رف سنونو يقتحم العلية ليعشش في جدرانها وخلف جسور السقف ،

فالاحتلال الى زوال ، والوطن مثلك باق ، وانا فيك وفيه بمقدار ما انا منك ومنه ،

والى لقاء قريب عند عين النرجس ،

(مع سلام خصوصي للتي تعرفين وتحبين مثل حبي) ..

ولدك المحب

(.....)

* * *

ملحوظة : اذا اردتم ان تبعثوا الي ببعض الاغراض فلتكن على عنوان « معتقل انصار » ، فكلنا فيه ، في انتظار ان يتحرر الوطن ، وهو الاسم الفعلي لاي معتقل اخر في ارض الوطن السجين ،

ملحوظة اخرى : رفاقي هنا اصروا ان يبعثوا اليك بتحية « كل سنة وانت طيبة ، يا ست الحبايب » ، معتبرين ان كل امهاتنا واحدة ، وهم يقبلون معي يدك الطاهرة .

ملحوظة اخيرة : سمعنا ان فصل الامطار والثلوج كان عظيما ، هذا يعني ان « الموسم » سيكون وفيرا وان ايام الخير ستعود . مباركة انت يا ام الخير .

طبق الاصل

طلال سلمان